جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنا ت بالإسكندرية
الدراسات العليا
(قسم الأدب والنقد)

الشعر في ظلال عبدالرحمن الناصر من ٣٠٠-٣٥٠هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص " الماجستير " في الأدب والنقد

إعداد الباحثة
فاطمة أحمد محمد أحمد ناصف

المعيدة بقسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

إشـــــــراف

الأستاذ الدكتور
سعد عبد السلام نصار
الأستاذ المساعد المتفرغ بقسم الأدب والنقد بالكلية
مشرفاً

الأستاذ الدكتور
وفاء إسماعيل البردان
أستاذ الأدب والنقد المساعد بالكلية
مشرفاً مشاركاً

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ژ ہ ۂ ۃ ھ ھ ے ے

ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯖ ﯖ ۇ ۇ ۆ

ۆ ۉ ژ

صدق الله العظيم

ســـورة النمل : آية

(١٩)

﴿ إهـــــــداء ﴾

❁ إلى سراج روحي وعقلي .....
❁ إلى نبع الحنان والعطاء .....
❁ إلى من ضحيا بمباهج الدنيا وزينتها من أجلنا .....
❁ إلى جناحي قلبي .....
❁ إلى من تنحني القامات احتراما لهما .....
❁ وترتفع الهامات افتخارا بهما ....إلى روحي ونفسي

❁ إلى "أمى وأبى الغاليان"

❁ إلى حاضري ومستقبلي .....
❁ إلى من أكن له الحب والتقدير والامتنان والعرفان بالجميل .....
❁ إلى الذي زرع التفاؤل في دربي.....

❁ إلى "زوجي الحبيب"

❁ إلى سندي وعضدي .....
❁ إلى رفاق عمري.....
❁ إلى كواكب دربي .....
❁ إلى البلسم الذي يداوى جراحات أيامي .....

❁ إلى "إخوتي وأخواتي الأعزاء"

إلى أهلى وأقاربي الذين لم يفتر لسانهم عن الدعاء لي لكي أتم هذا العمل بنجاح
إلى جميع أساتذتي وكل من له أدنى فضل في تعليمي في كل زمان ومكان.

إليكم جميعا أهدى باكورة أعمالي

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد و على آله و صحبه ومن والاه واهتدى بهداه إلي يوم الدين .... وبعد

لقد عاش الأدب العربي فى أحضان الأندلس قرابة ثمانية قرون متأثراً بكل ما فيها من مظاهر الحياة بجوانبها السياسية والاجتماعية والفكرية كافة ، و هى مدة لا يستهان بها فى دراسة الأدب الذي يعد مرآة صادقة لأى عصر من العصور نطلع من خلالها على الوجه الحقيقي لهذا العصر وما يميزه من خصائص و سمات ينفرد بها عما سواه .... و يعد عصر عبد الرحمن الناصر من العصور التي لم تنل حظاً من الباحثين فقد كثرت الدراسات عن العصور التي جاءت بعده على الرغم من الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المستقلة ، و التي واكبها نتاج أدبى واسع في عصر عبد الرحمن الناصر .

و منذ بداية البحث ، توجهت إلي التنقيب في المصادر التي توفرت بين يدى من خلال توجيهات الأساتذة المشرفين ، والأمر اللافت للنظر أن الباحثين لم يتعرضوا لتلك الحقبة بالدراسة إلا بإشارات قليلة و لمحات بسيطة وتناولات متفرقة فى ثنايا المصادر والمؤلفات التي عنيت بالبحث في تلك الفترة العامرة من فترات أدبنا العربى فى الأندلس .

ومما قوى الرغبة عندي فكان سبباً في اختيارى هذا الموضوع إقبال الدارسين على دراسة الجانب التخصصي والمهني للشخصيات ، و أغفلوا كثيراً من الجوانب الأخرى المتمثلة في اجتماعياتهم ، و سياستهم ، و اقتصادياتهم فدرسوا للأدباء آدابهم ، و للشعراء أشعارهم ، وللفقهاء فقههم ، و لأصحاب الحرف حرفهم ، و هذا لم يعط الصورة التامة و المتكاملة لتلك الشخصيات لأن زاوية الرؤية كانت واحدة ، و المنهج العلمي يقتضى على الناقد النظر من عدة جوانب و زوايا ، و ذلك حتى تكون رؤيته أشمل ، وحكمه أصوب و أدق، فكان أن أشار على أحد الأساتذة بدراسة هذا الموضوع فصادف فى قلبي صدى و هوى ، و أثار في نفسي الفضول و حب المعرفة لتلك الحقبة ، كلّ هذا كان دافعاً و حافزاً لي لأن أشحذ ذهني و أحفز همتي لدراسة هذا الجانب المشرق من تاريخ حضارة الأندلس خاصة و أن شعر هؤلاء الشعراء في تلك الحقبة يمثل بحق لبنة من لبنات الشعر الأندلسى كما أن ذلك الشعر متنوع الأغراض متعدد الاتجاهات جيد في الكثير منه و هذا ولا شك يجعله جديراً بالبحث ومجالاً خصباً للدراسة .

و ينضم إلى هذه الدوافع دافع عام يوجد في نفس كل مؤمن غيور محب لدينه و عروبته صادق فى حبه إنه شعوره بما عليه من واجب إزاء هذا البلد المسلم الغارية شمسه و ذلك الفردوس المفقود و ماله من مكانة خاصة في نفس كل عربي مسلم تجعل أى دراسة فيه أدبية كانت أم غير أدبية حبيبة إلي النفس قريبة من الوجدان ، فتراث الأندلسيين جزء أكيد من تراث الإسلام و المسلمين الزاهر الزاخر حيث هذه الحضارة الإسلامية العامرة الممتدة عبر قرون طويلة التي يمتزج فيها الفخر بالأمجاد والبطولات بالحدة و المرارة على ما آلت إليه هذه الأمجاد و تلك البطولات من أطلال دراسة و أثار بالية كأن لم تغن بالأمس .

من ذلك كله تكمن القيمة الأدبية التي تنطوي عليها هذه الدراسة وما يمكن أن تضيفه إلي الدراسات الأدبية الأخرى لا سيما الأندلسية كذلك فهذه الدراسة تحاول أن تولى مزيد اعتنائها وكبير اهتمامها بشعر المقلين من هؤلاء الشعراء ممن لم تسلط عليهم الأضواء .

وقد كان من الطبيعي أن تفيد هذه الدراسة من المصادر و المراجع المتعلقة بها و القريبة منها سواء ما يتوفر منها على النص الشعري أو ما يعني بالترجمة لصاحب ذلك النص وهى ما تعرف بكتب التراجم و السير أو ما يعني بدراسة الشعر الأندلسي بعامة و يعالج اتجاهاته الفكرية وخصائصه الفنية .

يمثل ذلك اللون من الكتب على سبيل المثال لا الحصر – تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي , جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس و أسماء رواة الحديث و أهل الفقه و الأدب و ذوي النباهة و الشعر : لأبى عبدالله محمد بن فتوح الحميدي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتمريىّ ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقرى التلمساني .... و غير ذلك من المصادر الكثيرة التي كانت مادة للبحث ، والتى سنلتَقى بها عبر صفحات هذه الدراسة بإذن الله سبحانه.

أما عن أهم المراجع والدراسات الحديثة التي أفادت منها هذه الدراسة فتتمثل فيما يلي : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة د /أحمد هيكل ، عصر الدول والإمارات فى الأندلس د/شوقي ضيف ، الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه د /مصطفى الشكعة ، الأدب العربي في الأندلس د /عبد العزيز عتيق – تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، عصر الطوائف والمرابطين " – كتابان " د /إحسان عباس ، ... وغير ذلك هذا بجانب كتب النقد في القديم و في

الحديث ، و التي لا تخلو منها دراسة أدبية تحليلية قط و قلما يخلو أى عمل جاد من بعض الصعوبات التي تقف في وجه كل دارس وبعض العقبات التي تعترض طريق كل باحث .... و هى هنا تكمن في النقاط التالية-:

أولاً : خطورة التعامل مع الأدب العربي القديم في عمومه ، فهو تعامل حذر و محسوب لأن أدب التراث يمثل الجذور الأساسية للشعر العربي في رحلته الطويلة.

ثانياً : لم يأخذ الأدب الأندلسي حظه المفروض من دراستنا في الجامعة اكتفاء ببعض النماذج الشهيرة التي كانت تتناقلها كتب الأدب الدراسية عاماً بعد عام ، مما نتج عنه جدب واضح ، إزاء تراث ضخم متراكم في ثمانية قرون.

ثالثاً : ندرة المصادر و المراجع الأندلسية في المكتبة الأدبية بشكل ملحوظ فبعضها طبع مرة واحدة ، و بعضها الأخر لم يطبع في مصر ، مما جعل العثور عليه أمراً ليس باليسير.

رابعاً : تناثر الأشعار في كتب التراجم والمصادر الأندلسية المختلفة فالقصيدة الواحدة تتوزع أبياتها – إن قدر لها أن تصل كاملة بين مجموعة من المصادر ، من مثل اليتيمة والذخيرة و النفح و الحلة و ما إلى ذلك – باستثناء بعض كبار الشعراء الأندلسيين الذين حظى نتاجهم بعناية الدراسين جمعاً وتحقيقاً.

و إذا كان لكل عمل من خطة يختطها صاحبه بغية الوصول إلى المبتغى و المنشود ، فإن هذه الدراسة قد سارت على ضوء المنهج المتكامل ، ذلك الذي يقوم على الأخذ بسائر المناهج الأدبية و الإفادة منها جميعاً .... وقد ظهرت ملامح وقسمات ذلك المنهج في ثنايا هذه الدراسة ، فهو يشتمل على المنهج التاريخي ذلك الذي يتمثل فى الترجمة لهؤلاء الشعراء ، كما يتمثل ذلك المنهج في ذكر ما يقتضى ذكره من أحداث تاريخية في هذه الفترة المعنية بالدراسة متمثلة فيما توالى على الأندلس من حروب وفتن وما أحرزه المسلمون من انتصارات وما توالى عليهم من نكبات.

و المنهج الموضوعي و الفكرى ذلك الذى يتمثل من خلال هذه الدراسة – في تناولي للاتجاهات في شعر الشعراء ، و عرض للأفكار من الرؤى التي انبثق خلالها شعرهم.

و المنهج الفني ، و الذي تتضح ملامحه و تبدو قسماته في دراستي للألفاظ و الأساليب، والمطالع ، و حسن التخلص ، و الخواتيم ، و الوحدة العضوية والموضوعية ، والموسيقى ، والعاطفة في شعر هؤلاء الشعراء .... و سرت كذلك على ضوء هذا المنهج المتكامل حين قمت بحصر الأساليب الغالبة على استعمال الشعراء و كذا حصر البحور التي صبوا قوالبهم في موسيقاها ، وقوافيهم التي استعملوها ، و بيان الغالب في ذلك و ايضاح صلة ذلك بموضوعاتهم.

هذا و قد اقتضت طبيعة هذه الدراسة ، أن تأتي في مقدمة و تمهيد و ثلاثة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة و التي نحن بصددها فقد ألمحت فيها إلى طبيعة موضوع هذه الدراسة ، ثم عرَّجت بالحديث بعد ذلك عن أسباب إختيار الموضوع و أهميته ، و أهم المصادر و المراجع التي أفادت منها هذه الدراسة ، و الصعوبات التي واجهتنى في أثناء إعدادي لها ، و المنهج المسلوك و الخطّة المتبعة في معالجة جزئياتها و يأتي بعد ذلك التمهيد ... و قد تحدثت فيه عن الشعر قبيل هذه الحقبة.

خامساً : كثير من هذه الأشعار مربوط باعتبارات تاريخية معينة , أو مرهون بملابسات سياسية مختلفة مما يحتم علي الدارس أن يكون على وعى بأدق التفاصيل السياسية و الإجتماعية التي تغلف بها هذا الشعر . و ما لم يدرس الشعر في ظل ظروفه المحيطة , و ملابساته التي كانت تكتنفه فلن يعكس الوجه الحقيقي المطلوب , و لن يعبر بصدق عن بيئته , و يتحول الأمر في النهاية إلي ضرب من الظن و التخمين .

و كان لابد من تذليل كل تلك المعوقات – قدر المستطاع – بمزيد من الصبر و الجهد، و الإفادة من ذوي الرأى و رجال الأدب من أساتذة الأعلام حتى تمت الدراسة – بفضل الله – علي النحو التالي :

الباب الأول : عصـــر الناصر وشـعراؤه

الفصل الأول : عصر عبد الرحمن الناصر

- أولاً : الحياة الســـياسية
- ثانياً : الحياة الاجتماعية

- ثالثاً : الحياة الثـــقافيـــة

الفصل الثاني : الشعراء في ظلال عبد الرحمن الناصر

- أولاً : حياة عبد الرحمن الناصر
- ثانياً : الشعراء

الباب الثاني : اتجاهات الشـــعر في عصر الناصر

الفصل الأول : الاتجـــاه الســـياســـــي

الفصل الثاني : الاتجـــاه الوصـــــفي

الفصل الثالث : الاتجـــاه الاســـــلامي

الفصل الرابـــع : الاتـجـاه الـوجداني

الفصل الخامس : الاتجـاه الاجتماعـــي

الفصل السادس : الاتـــجاه التـعليـــمي

الباب الثالث : القيم الفنيـــــة للشـــعر في ظلال الناصر

الفصل الأول : خصائـــص المضمون و اشتـــمل علي مبحث :

المبحث الأول : التـــــجربة الشعريـــة

الفصل الثاني : خصائص الشكل واشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الألفاظ و الأساليب

المبحث الثانى: التنـــــــــــــاص

المبحث الثالث : الصور الشـــــعرية

المبحث الرابع : البناء الفني , و يشمل :

- أولاً : مقدمـــــات القصائد
- ثانياً : حســـــن التـــخلص

ثالثا : خـــواتـيم القصـــائد

رابعا : الوحـــــدة العضـــــوية

المبحث الخامس :الموسيـــــــقى، ويشـــمل:

- أولاً : الموسيقي الخارجية
- ثانياً : الموسيقي الداخلية

و في نهاية الدراسة ختمت الموضوع بتقديم أبرز النتائج التي توصلت إليها ، بعد التعايش مع جزئياتها ، ثم تأتي في النهاية المصادر والمراجع و المحتويات.

و بعد,

فنزولاً على هدى من أدبه ربُّه فأحسن تأديبه ، و اقتداءً بهديه ﷺ الراشد الذي يقول فيه : (لايشكر الله من لا يشكر الناس [١] ، و اعترافاً بالفضل لذوي الفضل ، فإنني أتقدم في هذا المقام بأسمى آيات الشكر و التقدير و العرفان لأستاذي الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور/ **سعدعبد السلام نصار** ، ذلك العالم الجليل و المربي الفاضل و الوالد الحنون ، صاحب الأخلاق العالية ، والشمائل الكريمة ، و الشيم النادرة ، يرفع من قدره تواضع جمٌّ ، يلمسه فيه كل من يخالطه ... هو تواضع العلماء ، و يُزينه أدب كبير ، و إخلاص نادر ، و جرأة كبيرة في الحق ... حيث يُعدُّ بحق القدوة الحسنة لمن ينشد القيم و المثل العليا ، و إليه – بعد الله سبحانه – يرجع الفضل في ظهور هذا البحث على الصورة التي بين أيدينا الآن ، بما أمدني به من علمه الغزير ، و أفادني من أدبه الجمّ علي الرغم من شواغله الكثيرة و مهامه الكبيرة ، فجزاه الله عني و عن كل متعلم أفاد من علمه و تأثر بحميد أخلاقه و كريم سجاياه – خير الجزاء و أثابه على ذلك ثواب العلماء العاملين المخلصين.

كما أتقدم في هذا الشأن أيضاً بأسمى آيات الشكر و التقدير و العرفان للأستاذة الدكتورة / **وفاء إسماعيل البردان**، تلك العالمة الجليلة التي تتسم – بحق – بوقار العلماء، وتتزيا بزيّهم ، بما تتحلى به من شيم عظيمة ، و أخلاق نادرة ، فهى هينة لينة ، هاشة ، باشة، و قد كانت مشاركة لأستاذي الجليل في الإشراف على هذا العمل ، فقد أفادتني من أدابها الجمّ ، و ما قدمته لي من نصائح حانية ، و ما وجهتني إليه من توجيهات رشيدة ... حيث راجعتني في هذا البحث مرة تلو الأخرى ، و شعرت و أنا أجلس بين يديها متعلمة – أنني – أحد أبنائها ، بما لمست فيها من رعاية

(١)الحديث رواه مسلم بن إبراهيم .....عن أبي هريرة رضى الله عنه :سنن أبي هريرة رضى الله عنه / سنن أبي داوود :٦٧١/٢

و اعتناء ، فلم تضن على بوقتها ، و لم تبخل علىَّ بما أفاء الله و أنعم عليها من علم غزير ، و ثقافة كبيرة و إليها أيضاً بعد الخالق – سبحانه – يرجع الفضل في بلوغ هذه الدراسة تلك الصورة المنشودة بإذن الله بما أسدته فضيلتها من توجيهات سديدة ، و تعليقات دقيقة فجزاها الله عني وعن العلم خير الجزاء ، وأثابها علي ذلك ثواب العلماء المخلصين ... وقبل أن أنهى أتقدم الى أساتذتى الفضلاء في قسم الأدب والنقد بالشكر الجزيل على الجهود الكبيرة التى يبذلونها فى سبيل إبقاء نور العلم ساطعا وهاجا ،وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة / آمال كمال ضرار رئيسة قسم الأدب والنقد بالكلية لما قدمته لى من دعم معنوي لكى أنهى هذه الدراسة على وجهها الأكمل، فدائما كنت أرى منها تشجيعا وتحفيزا يشد أزرى فأسأل الله أن يبقيها لنا ذخرا وللعلم موئلا ، وللمتعلمين هاديا ومرشدا .والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ، و أن ينال القبول ، و أن يكون خطوة على طريق البحث العلمي الجاد ، و لبنة في صرح أدب العرب الشامخ ... و أتضرع إلي الله في هذا المقام مع المتضرعين " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا" [١]، و الله سبحانه من وراء القصد و هو الهادي إلي سواء السبيل " : و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "[٢] .

الباحـــثـة

فاطمة أحمد ناصف

(١) سورة البقرة :آية ٢٨٦

(٢) سورة هود : آية ٨٨

التمهيد

« مدخل إلى الشعر الأندلسي قبل حكم الناصر »

كانت أسبانيا فى الوقت الذى أخذت تجذب فيه أنظار العرب على أسوأ حالة من الضعف السياسي والاجتماعي والثقافي وهذا ما ساعد على فتحها فدخل العرب الأندلس فاتحين ، ثم وافدين من مختلف القبائل العربية والأقاليم الإسلامية كما يذكر ذلك المقرى إذ يقول :

« لما استقر قدم الإسلام بالأندلس وتتام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم » . (١)

وكان من بين أولئك شعراء ورواة وخطباء وكتاب ودواوين وغيرهم .

لكن الفترة التى تلت الفتح وهى فترة الولاة وتبدأ من سنة ٩٢ – ١٣٨هـ كانت فترة عصيبة حيث قامت فيها ثورات البرابرة ضد العرب واستحكم الشقاق والتنافس من ناحية أخرى بين مختلف الولاة القادمين من الشرق ، فلم يتهيأ فى هذا العهد أى نوع من الاستقراء فقد كان الاتجاه إلى توطيد دعائم الحكم وتتبع المناوئين للفتح أو الثائرين ضده على أشده .

لذلك كان العرب فى شغل شاغل عن الالتفات إلى ما حولهم والتأثر بمشاهدة البيئة ومظاهر البلاد الجديدة فتبع ذلك أن كان اتجاه الشعراء – على قلتهم – فى هذه الفترة وميلهم إلى الشعر ضعيفاً ومحدوداً يجرى حسب ما تقتضيه ظروف الفتوح ، وما تمليه الوقائع والمناسبات دونما اهتمام بشأنه .

ومثلما كان الشعراء فى الأندلس فى هذه الفترة عرباً بكل سماتهم وطباعهم لم تتهيأ لهم ظروف الاستقرار والرخاء والرفاهية والنظر بتأمل فيما حولهم ، ولم تؤثر فيهم بعد نعومة الحضارة ، ولم يلتفتوا إلى متع الحياة فقد جاء شعرهم فى هذه الفترة كذلك شعراً عربياً خالصاً لا أثر فيه لأى سمة من مؤثرات مظاهر الحياة الجديدة والبيئة الجديدة يجرى على المنهج الشعرى المشرقى فى أغراضه وكل سماته الفنية ومع أنه كان فى هذه الفترة عدد من الشعراء فإنه يتعذر على الباحث أن يجد إلا القليل من الشعر فى مراجع مختلفة .

وممن ورد لهم ذكر من شعراء هذه الفترة جعونة بن الصمة وقد كان من بين العرب الوافدين على الأندلس فى فترة الولاة ، وقد اشتهر هذا الشاعر فى بداية الأمر بهجائه لرئيس

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)/تحقيق:إحسان عباس/ دار صادر– بيروت – لبنان / ١٩٠٠م : جـ١ /صـ٢٩٠.

القيسية فى الأندلس الصميل بن حاتم ، كما اشتهر فيما بعد بمدحه الصميل هذا وذلك بعد أن تمكن الصميل بن حاتم من الشاعر جعونة فعفا عنه .

غير أنه لم يبق من شعره إلا القليل جداً ومن شعره قوله[١] :-

ولقـــــد أرانـــــى مـــــن هـــــواى بمنـــــزل

عـــــال ورأســـــى ذو غـــــدائر أفـــــرعُ

والعـــــيشُ أغيـــــد ســـــاقطَ أفنانـــــه

والمـــــاء أطيبـــــه لنـــــا والمرتـــــع

ومن شعراء فترة الولاة أبو الخطار حسام بن ضرار أحد أشارف القحطانيين فى الأندلس وممن شهدوا الفتوح الإسلامية فى الشمال الأفريقى وقد عين والياً على الأندلس سنة ١٢٥هـ من قبل الخليفة هشام ابن عبدالملك وقد كان الشاعر حسام فارساً شجاعاً ولذا لقب بعنترة الأندلسى .

وهو كسابقه لم يعثر إلا على القليل من شعره . فمن ذلك قوله فى ثأر أخذه لعزيز من بنى قومه يدعى ابن جواس :-

فليـــت ابـــن جَـــوَّاس يخبَّـــر أننـــى

ســـعيتُ بـــه ســـعى امـــرئً غيـــر عاقـــل

قَتَلـــتُ بـــه تســـعين تحســـب أنهـــم

جـــذوع نخيـــل صُـــرِّعت فـــى المســـايل

و لـــو كـــانت المـــوتى تبـــاع بكفـــى ومـــا اســـتثنيت منهـــا أنـــاملى(٢) اشـــتريته

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس / أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ) دار الكاتب العربي / القاهرة-١٩٦٧ م :ص٢٦١

وأيضاً أخبار الشاعر فى : المغرب في حلى المغرب/ أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (المتوفى: ٦٨٥هـ)تحقيق:- د. شوقي ضيف/ دار المعارف / القاهرة-الطبعة: الثالثة، ١٩٥٥:جـ١/١٣١-١٣٢

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس / محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)- الدار المصرية للتأليف والنشر / القاهرة -١٩٦٦ م :صـ٢٠٠.

ومما لا شك فيه كان هناك كثير من الشعراء فى هذه الفترة لكن الوضع السياسى المضطرب الذى استمر طيلة هذه الفترة كان سبباً فى عدم ظهور أو فى نسيان عدد من الشعراء وضياع أشعارهم .

وشعراء هذه الفترة – أياما كانوا – قلة أو كثرة كانوا لا يزالون على كثير من بداوتهم وطباعهم وسجاياهم ، متعصبين لقبيلتهم متمسكين بمبادئهم محافظين على منهج شعرهم ، فلم يهتموا إلى النظر فيما حولهم من مظاهر البيئة والحياة الجديدة فجاء شعرهم ملائماً لطبيعتهم الأولى جارياً على سنن ذلك الشعر العربى الأصيل الذى كان شائعاً فى المشرق فى ذلك الوقت والذى كان من أشهر أعلامه جرير والفرزدق ، فهو شعر يتناول فى فنونه وموضوعاته المدح والهجاء والفخر والحماسة إلى غير ذلك من أغراض الشعر ، ويجرى على نظام وأصول بناء الشعر العربى الأصيل فهو شعر جزل اللفظ فخم العبارة متين الأسلوب محكم الأسر رصين المعنى قوى الدلالة لا يرى فيه بعد شئ من سمات وخصائص الشعر الأندلس الذى كان من أهم ما امتاز به الإجادة فى سبك اللفظ وتخيره ، والإبداع فى نظمه وسلاسته ، والافتنان فى التصوير والتحليق فى الخيال فى شيوع الرقة والعذوبة وتناول وصف الطبيعة ورسم مناظرها ومشاهدها فى كثير من شعرهم ، وإنما هو شعر جزل قوى فخم يبدو عليه طابع البداوة والجزالة والقسوة والمتانة .

ويصل بنا المطاف إلى عهد الإمارة (١٣٨ – ٣١٦هـ) ففى تلك الفترة بدأت النماذج الشعرية الأندلسية بالظهور ، وبخاصة فى أواخر القرن الثانى حيث سطع نجم الشاعر الشهير يحيى الغزال المتوفى سنة ٢٥٠هـ إلا أن معالم تلك النماذج ظلت طيلة تلك الفترة تمر بدور تكون غامض ، لأن الشعراء كانوا يعتمدون آنذاك على شعراء المشرق اعتماداً كلياً ، متخذين القصائد الشرقية نماذج للنظم على شاكلتها ورغم ذلك فإن أصول هذا الشعر بدأت تثبت فى تربة الأندلس بفعل عوامل متعددة ، أهمها طبقة المؤدبين ونهضة الثقافة ، وشيوع الغناء ...

فيما يتعلق بطبقة المؤدبين التى تزعمها الشاعر المشهور مؤمن بن سعيد ، فقد ارتحل معظمهم إلى المشرق ، فأخذوا الكثير من علم المشارقة وأدبهم ، وعادوا إلى بلادهم حاملين معهم الكتب اللغوية ككتب الأصمعى والكسائى والفراء ، وكتب الأشعار المشروحة ، ثم قاموا بتدريسها فى مساجدهم ولاسيما جامع العاصمة قرطبة .

أما النهضة الثقافية التى شهدتها تلك الفترة فقد كانت واسعة ممتدة الأطناب ، وذلك بفضل الأمراء الذين كانوا يشجعون الشعراء على النظم والمؤلفين على التأليف إذ كان عبدالرحمن الداخل أديباً شاعراً له شعر كثير مشهور فنراه يصور قصته فى كفاحه المرير وجهاده الطويل ، وإحسانه إلى بنى أمية ، فى قوله وقد وفد عليه بعض أقربائه فنال عطاء لكنه استقله ، واستطال على الداخل بدالة القرابة :-

شـــــتان مـــــن قـــــام ذا امتعـــــاض

مـــــذ قـــــال مـــــا قـــــال واضـــــمحلا

فجـــــاب قفـــــراً وشـــــق بحـــــراً

ولـــــم يكـــــن فـــــى الأنـــــام كـــــلا[١]

فشـــــاد ملكـــــاً وشـــــاد عـــــزّاً

ومنبـــــراً للخطـــــاب فصـــــلا

وجنـــــد الجنـــــد حـــــين أوذى

ومصَّـــــر المصـــــرحين أخلـــــى

ثـــــم دعـــــا أهلـــــه جميعـــــاً

حيـــــث انتـــــأوا أن هلـــــم أهـــــلا

فجـــــاء هـــــذا طريـــــد جـــــوع

شـــــديد روع يخـــــاف قـــــتلا

قتـــــال أمنـــــاً ونـــــال شـــــبعاً[٢]

ونـــــال مـــــالا ونـــــال أهـــــلا

ألـــــم يكـــــن حـــــق ذا علـــــى ذا

أعظـــــم مـــــن مـــــنعم ومـــــولى[٣]

---

(١) الكل : العيل والثقيل ومن لا خير فيه .(لسان العرب:مادة/ كل)

(٢) الشبع : بسكون الباء كالشبع بفتحها .

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب/ شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى:١٠٤هـ)تحقيق:احسان عباس /دار صادر/ بيروت – لبنان –الطبعة: ١، ١٩٩٧-جـ٣/٤٣.

وإذا استعرضنا تلك النماذج التى بقيت من شعر عبدالرحمن الداخل ، وجدناها قسمة بين الحنين والفخر ، أما الحنين فمصدره تعلق قلب الشاعر بوطنه الأول فى المشرق ، حيث ولد ونشأ وكانت لآبائه دولة كبيرة ، وأما الفخر فمصدره بطولة الشاعر وكفاحه ومغامراته وانتصاراته ؛ فقد استطاع وهو شاب أن يؤسس دولة لبنى أمية تعوضهم دولتهم التى فقدوها .

هذا ما كان من أمر عبدالرحمن الداخل أما الحكم الربضى فكان شاعراً مجيداً له أشعار كثيرة فى الربضيين القائمين عليه ، لا يحاربه فيها أحد ، وهو الذى وجه الشاعر عباس بن ناصح إلى العراق فى التماس الكتب القديمة .

كذلك كان عبدالرحمن الثانى شاعراً أديباً وكان الأمير محمد فصيحاً بليغاً وأحب الناس للعلوم وللأمير عبدالله أشعار حسان فى الغزل والزهد ، وكان المطرف بن محمد شاعراً مغلقاً عالماً بالغناء .

فقد شاع الغناء فى فترة الإمارة وخاصة بعد قدوم أبى الحسن على بن نافع الملقب بزرياب لقب بذلك لغلبة سواد لونه عليه ، وشبه بطائر أسود غرد عندهم .

كان تلميذاً لإسحاق الموصلى ببغداد أيام هارون الرشيد ، وقد فر من العراق هرباً من غيض أستاذه المذكور ، وقدم الأندلس ووصلها فى أيام عبدالرحمن الأوسط ، من اختراعاته زيادته وتراً خامساً أحمر فى أوتار عوده إذ كان العود لم يزل فى أربعة أوتار ، ومضراب العود من قوادم النسر لخفته على الأصابع معتاضاً به من مرهف الخشب . وكانت معظم تلاحين الأندلس آنذاك مشرقية مدنية نسبة إلى المدينة فى الحجاز ، وبعد قدوم زرياب من بغداد أخذت الموسيقى العراقية تحل محل الموسيقى الحجازية .

وقد عد قدوم زرياب عاملاً كبيراً فى ترسيخ الطابع الحضارى المشرقى فى إسبانيا الإسلامية كما عد عاملاً مشجعاً على ظهور فن جديد فى الأدب هو فن الموشحات .

ومجمل القول : إن الغناء كان عاملاً مساعداً فى تطور الشعر الغنائى ، ولاسيما شعر الخمر والنسيب ووصف الطبيعة ، وذلك لما بينهما من روابط عميقة وتفاعل كبير ، لأن التفاعل من شأنه أن يوجه الشاعر ويطوره ومن الملاحظ فى هذه الفترة أن أهل الأندلس كانوا يقبلون على تلحين أشعار العرب الأوائل لأن الأشعار المحدثة رغم ظهورها فى تلك الفترة لم تكن قد دخلت بعد إلى قلوبهم .